لدرس اللغات الشرقيَّة والغربيَّة كاللاتينيَّة والافرنسيَّة والسريانيَّة والارمنيَّة والقبطيَّة والحبشيَّة

أضف اليها ما طُبع في غير مطبعتنا من الكتب الادبية واللغويَّة والتاريخيَّة كمحيط المحيط وقطر المحيط ودراوين البحتري والمتنبي مع شرحيهِ العرف الطيب وسيَر الملوك للاربلي ومقدِّمة ابن خلدون واخبار الاعيان في جبل لبنان وقطف الزهور في تاريخ الدهور وتاريخ اليونان وتاريخ مكدونيا والتاريخ القديم وتاريخ الصحافة العربية وملوك العرب وشرح ادب الكتَّاب للبطليوسيّ والرياحانيَّات ورسائل المعرّي وتاريخ سوريَّة للمطران يوسف الدبس. ومنها كتب فلسفيَّة كالفوز الاصغر لابن مسكويه وتفصيل النشأتين للراغب الاصفهاني والفلسفة النظريَّة للكردينال مرسيه وميزان الحق واصل الانسان والكائنات الخ

فهذه ومطبوعات اخرى غيرها شاهدٌ باهر على ما كان لبيروت من الحظّة الوافرة في تعزيز الآداب العربية

والى بيروت ايضاً يعود الفضل في انشاء المكاتب وغُرَف القراءة والنوادي العلميَّة والمتاحف واقامة الحفلات الادبية وتمثيل الروايات تشاركت فيها الارساليَّات الاجنبيَّة والجمعيَّات الوطنيَّة حتى اصبحت بيروت في اعين القاصي والداني كمركز النهضة الادبية في العالم العربي لولا ما اصابها من الانحطاط في ايَّام الحرب الكونية وهي ساعية اليوم في استرجاع مقامها السابق (لها بقية)

الآداب العربيَّة

في الربع الاول من القرن العشرين

للاب لويس شيخو اليسوعي (تابع)

ادباء النصارى (تابع)

ومذ انتشبت الحرب الكونية أُصيبت الآداب العربية بعدد عديد من ادبائها

النصارى الافاضل . واوّل من نُعي الينا المرحوم ﴿عطيه بك وهبي القبطي﴾ المولود سنة ١٨٦٨ والمتوفى في ٢٦ ت ٢ ١٩١٤ درس في المدارس الاميركانية والوطنية ثم اشتغل بدرس علم الحقوق في المدرسة الفرنساوية بالقاهرة ونال في باريس اجازة الملفنة . ثمّ ساح في البلاد الاوربية وحرّر اخبار سياحته ثمّ كتب الفصول الحسنة في جرائد اوربة ومصر عن الابحاث الفقهية والاقتصادية . وألقى في مؤتمر الآثار الدولي في مصر سنة ١٩٠٩ محاضرات نفيسة في الفنون القبطية وتولّى رئاسة مدارس مأتمه وعُني باموره الادبية ونشر مآثرها التاريخية . وقد جمع احد مواطنيه راغب اسكندر المحامي آثاره ومقالاته وخطبه فنشرها سنة ١٩١٥ تحت عنوان « الاثر الذهبي المرحوم عطيه بك وهبي » .

وكان سبقهُ الى الابديّة اديبٌ آخر من مأتمه ﴿عبد السيد ميخائيل القبطي﴾ منشئ جريدة الوطن في مصر سنة ١٨٧٧ وصاحب تآليف حسنة في مواضيع ادبية منها كتابهُ سلوان الشجيّ انتصر فيه لصاحب الجوائب على الشيخ اليازجي . ومن مآثره ردٌّ واسع على كتاب اظهار الحقّ . توفي في ٢٦ ايار ١٩١٤ وكان مولده سنة ١٨٦٠

وفي السنة ١٩١٥ في ١٩ ايار فُجعت أُسرة سركيس بوفاة احد اعيانها ﴿خليل سركيس﴾ الذي لهُ في خدمة الآداب العربية نصيبٌ وافر سواء كان في انشائه لمطبعته الادبية ام في تحريره لجريدة لسان الحال التي نال امتيازها سنة ١٨٧٥ فزيّنها بمقالاته السياسيّة والادبية او ايضاً بتآليفه المدرسية والادبية والتاريخية كسلاسل القراءة وتاريخ القدس الشريف وكتاب العادات ورحلة امبراطور المانيا درس المرحوم في المدارس الاميركانيّة وعدل الى مذهب اصحابها . كان مولدهُ في اهبه في ٢٢ ك ٢ ١٨٤٢

ومن منشاعي القلم في أيام الحرب الشاعر المفلق ﴿عقولا رزق الله﴾ تخرّج في الآداب بالوطن وهاجر الى مصر واشتهر بالكتابة فأنشأ مجلّة الروايات الجديدة فنقل الى العربية كثيراً من الروايات الفرنسويّة وعُني بنشرها . وكان يُعَدّ بين كبار شعراء العصر وهو غزير المادّة كثير التفنن في شعره يزين نظمهُ بالالفاظ الحكمية والمعاني

البليغة . وقد استحسنّا لهُ قولهُ في الشعراء الذين يفسدون شعرهم بالغايات الدنيئة قال :

ليتَ شعري متى أرى شعراء ... الشرق يوماً بفضلهم اغنياء
ورزانا من نقدوهم فنالوا ... شرَّ إرثٍ مذلّةً وشقاء
بين مجوٍ كالسِّرِّ او هو أدنى ... ومديحٍ تعدُّهُ استجداء
عوّدوا الذلَّ فالكبيرُ كبيرٌ ... فيهم حين يسألُ الكبراء
ليس كالمالِ للقرائح سُمٌّ ... حين يأتو يوماً بها وشراء
انَّ الشعرَ للنفوسِ غذاءٌ ... أفسدوهُ فصيّروهُ غذاء
يتبعُ الشعرُ أهلهُ فاستباحوا ... وابتذالاً او عزّةً وإباء

ومن حسن اقوالهِ لمَّا أُعلن بالدستور العثماني :

يا ايُّها الناسُ حيُّوا ذلك الملكا ... وسبّحوا مانحَ الحرّيةِ الأمما
وقبّلوا البندقيّاتِ التي فضلتْ ... اقلامنا بعد ما كانت لها خدما
وظاهروا عُصبةَ الاحرار انَّهمُ ... أتوا بما أعجزَ الأبطال والهمما

ومنها :

وادّعوا لمن بعثَ الدستورَ من جدثٍ ... بكت عليهِ عيونُ العالمين دما
فقد حرمناهُ ظلماً وانقضى زمنٌ ... عليهِ حتى حسبناهُ غدا عدما
واليومَ جرّد سيفَ الحقّ صاحبُهُ ... وحاجمَ الظلمَ حتى قرَّ منهزما
تعانقَ الشيخ والقسيسُ واصطحبا ... من بعد ما افترقا ضدّين واختصما
تعانقا في حمى الدستور واتحدا ... ورفرفتْ رايةُ التوحيد فوقهما . . .

وما احسن قولهُ يصف الاوانس المحتشمات :

وفريدةٍ لولا الحيا ... ءُ حياؤها كان الخمارا
تمشي لحاجاتها ولا ... ترنو يميناً او يسارا
لا تسمعُ تُلقيهِ الى ... ما قيل سرّاً او جهارا
هي واللواتي مثلُها ... يغنينَ ذاك ولا افتخارا
تحسبنَ نظرتهُ الوجو ... ه على محاسنها شنارا
ارلاه ربّاتُ القضا ... ئل قد رفعنَ لهُ منارا

واردف يحذرُ المتهتكات :

يا من تليقُ بها الكرا ... مةُ حاذري ذاك الصِّغارا
صُوني جمالاً طالما ... اولاكِ تيهاً وافتخارا
لا كان حُسْنٌ فيك لم ... يكُنِ العفافُ لهُ شعارا

ولد نقولا رزق في بيروت سنة ١٨٦٩ وتوفي في القاهرة في نيسان ١٩١٥

وفي هذه السنة ايضاً في ٩ أيار ١٩١٥ توفي في بيروت اوّل من عُني فيها بمهنة الكتبيين ﴿ابرهيم صادر﴾ باشر بهذه التجارة منذ السنة ١٨٦٣ فخدمها نيّفاً وخمسين سنةً وقرّب الى اهل بيروت عموماً والى الناشئة خصوصاً درس المطبوعات العربية ومطالعة التآليف النادرة. فقام بعدهُ بمهنته ولداهُ الاديبان سليم ويوسف من خرّيجي مدرستنا الكلية

وفي السنة ذاتها في ٢٤ ك ١ ١٩١٥ نشبت المنيّة اظفارها في احد رجال الفضل وهو في عزّ شبابه ﴿عسّاف بك الكفوري﴾ لم يتجاوز عمرهُ ٣٣ سنة كان قضى قسماً كبيراً منها بعد خروجه من كليّة زحلة الشرقية في التعليم في عدّة مدارس وطنية واجنبيّة. وكان كاتباً بارعاً وشاعراً مُجيداً له آثار حسنة في المجلّات والجرائد الوطنيّة منها مقالات في التعليم والتاريخ والصحّة وقد نظم ديوانين وكان يحسن الخطابة والتمثيل

وفي العام المقبل ١٩١٦ في ٢ شباط وقعت وفاة اديب آخر مستفيض السمعة ﴿الشيخ ابراهيم الحوراني﴾ كان مولدهُ في حلب سنة ١٨٧٠ ثمّ تنقّل في مدن الشام كحمص ودمشق الى ان استوطن بيروت فعلّم في مدارسها بينها المدرسة البطريركية. ثمّ أنيطت به ادارة مجلّة النشرة الاسبوعية وتولّى تصحيح منشورات المطبعة الاميركية. وقد ألّف او ترجم ما يبلغ ثلاثين كتاباً منها كتابة الحقّ اليقين في الردّ على بُطْل دروين - وكان ابرهيم الحوراني يجيد الانشاء نثراً ويحسن النظم شعراً وذلك دون تكلّف. وقد خلّف ديواناً شعرياً يشهد له بطول الباع في النظم دونك ابياتاً قالها في الزهد بالدنيا :

يا غافلين تنبّهوا أزفَ السّرى ... وحدَت مطيَّ رحيلها الركبانُ
وحيّا الى دار البقاء فليس في ... دار الفناء لعاقل اوطانُ

غبراؤها سوق الوغى وسماؤها ... قلك النحور وحومة الاحزانُ
لا يسلمُ البزّارُ في حوماتها ... والشرعي في أفنائها كيوانُ
حكت البلادُ جا العشيرَ وأصليتْ ... نارَ المصائب فالحياةُ دخانُ

وفي السنة ١٩١٦ في ٦ حزيران قُتل ظلماً ناصر جمال باشا ﴿الشيخان فيليب وفريد الخازن﴾ وكل يعلم ما ترك كلاهما من الآثار الادبية الطيبة منها سياسية ومنها تاريخية دافعا بها عن استقلال لبنان وامتيازاته بوجه الاتراك دون ان يتعمدا حدود القانون واخصّها مجموعة المحررات السياسية والمفاوضات الدولية التي عُنيا بجمعها وتعريبها (راجع المشرق ١٨ [١٩٢٠] : ٣٩١ ــ ٣٩٢ ومذكرات عند المطبوعة في مطبعة القديس بولس في حريصا سنة ١٩٢١)

وفي تلك السنة توفي في مستشفى دمشق الكتبي ﴿امين الخوري﴾ نشر عدّة كتب مدرسية وانشأ دليلاً لبيروت على صورة مجلة عنوانها الجامعة ضمّنها معلومات مفيدة عن بيروت واصدرها سبع سنين . تولّى مع اخيه خليل ادارة مكتبة الآداب ثم انقطع الى الكتابة وكان كثير التأدب قليل التروي

في غرّة العام في ١ ك٢ من السنة ١٩١٧ مات فجأةً ﴿الدكتور شبلي شميّل﴾ من اسرة الشميّل اللبنانيّة الكريمة تلقّى العلوم في الكلية الاميركية في بيروت فبرع في الطبّ والطبيعيّات إلّا انهُ جنح الى الآراء الدروينية فتطرّف فيها وبالغ به غلوّهُ الى ان أصبح من الماديين لا يرى صحةً لما يتجاوز الحواسّ حتى انكر وجود الخالق وخلود النفس وهو القائل :

فدعونا من الخلود المنيّ ... ان ترحّبْ فبالفنا الترحيبُ
فلماذا هذا الثراب المرجّى ... ولماذا هذا العقابُ الرهيبُ

وقد بالغ في نشر آرائه الكفريّة وكان لا يرى فائدةً في العلوم ما خلا الطبيعيّات والعلوم الوضعيّة وجنح لتأييدها الى مزاعم الغلاة من الملحدين فقام كثيرون وردّوا على اقواله حتى بين اصحابه

وفي ١٦ ايلول من السنة ١٩١٦ فُجعت بيروت باحد اساتذتها الفضلاء الشيخ ﴿ظاهر خيرالله عطايا صليبا الشويري﴾ وُلد في الشوير سنة ١٨٣٦ ثم تفرّغ للآداب في كهولتهِ فأصاب منها بجدّهِ ما لم يتأتّ له من اساتذة زمانه فنبغ ودُعي للتعليم في عدّة

مدارس فأصبح اوحد وطنه في الرياضيات والاخويات وعلم الشريعة. وقد ابقى آثارًا عديدة تنطق بفضله منها رسائل انوية فريدة كالمتع والتراجم في اللغة والمعاجم ومنها حسابية كمدخل الطلاب في علم الحساب وكاسحة الناظر في مسك الدفاتر. وكان الفقيد شديد التمسك بدينه كما يبيّن ذلك بردوده على مزاعم البروتستانت الباطلة في كتابيه المشتهرين «الادلة الغرّاء على سوء شأن مريم العذراء» ثم «تحقيق المقال في انّ الخلاص بالايمان والاعمال». وقد وقفنا له على كتاب مخطوط اثبت فيه بتولية القديس يوسف ردًّا على احد اساقفة طائفته

ومن فقدتهم الآداب في آخر سنوات الحرب الكونية الصيدلي والاثري الشرقي المرحوم مراد بك البارودي توفاه الله في ١٥ شباط سنة ١٩١٨ كان مغرمًا بالآداب والآثار العربية فجمع منها قسمًا كبيرًا من جملتها مكتبته الحاوية على عدة مئات من المخطوطات النفيسة فباعها ابنهُ من امناء الاميركيين. وكان مراد بك كثير الاطلاع نشر في الكلية والمقتطف والطبيب عدّة مقالات عن مآثر العرب وعن المسكوكات والماديات

وفي ٦ تموز من السنة استأثر الله بأديب آخر من الطائفة الملكية الكاثوليكية المرحوم فتح الله جاويش الكاتب الضليع. له فصول سياسية وادبية وتاريخية في الجرائد الوطنية اصاب فيها لفظًا ومعنى. وقد أبقى بعد وفاته آثارًا كتابية اطلعنا على قسم منها فأخذنا العجب من سعة معارفه وحسن انشائه. وكان ايضًا من المتشبثين بروح الدين والتقى لم يخجل عن الدفاع عن ايمانه بازاء الخصوم

وفيما توفي بعيدًا عن الوطن احد أدباء حلب جرجي الكندرجي مات في فرنسة سنة ١٩١٨ بعد ان كان نزح مع اسرته عن الشهباء فرارًا من ظلم الاتراك سنة ١٨٩٨. وقد عُني اخوهُ بجمع ونشر نخبة من ديوانه روت عنهُ مجلة السرّة الغرّاء (٨ [١٩٢٢] : ٢٧٠–٢٧٢) بعض مقاطيعه المُعربة عن جودة قريحته منها هذه الابيات التي قالها اذ زار الاهرام ورأى ما فيها من التصاوير الهيروغليفية وعاين بازائها ابا الهول فقال يذكر تلك الآثار المشيّدة بتسخير الالوف من العبيد

اني وقفتُ بهامة الاهرام والبدرُ يسطعُ في الفضاء السامي
وأجلتُ طرفي حولها متنقلًا متهيبًا لجلالة الاجسام

مستطلعاً اسرارها متمايلاً عما حوت من أعظم الاجسام
فبدا لي التاريخُ في صفحاتهِ مثلاً متحركاً قدّامي
ورأيتُ خلقاً لا يُعَدُّ عديدهم يستاقُهم فرعونُ كالأنعام
صُفر الوجوهِ شعورُهم منبرّةٌ حُنيَ الظهورُ لشدّة الآلام
تطوِ القروحُ جلودهم وتسيل من قسمِ الرؤوسِ لمنبتِ الاقدام
من قَرْع اسواطٍ ورشدّ سلاسلٍ في جرّ اثقالٍ ونقلِ رُكام
كلٌّ يَئِنُّ مردّدًا لشكايةٍ وللغةِ المظلوم للظلّام
فكأنّما الاحجارُ أكباد الورى مرصوصةٌ والرمل دمع الراعي
وكأنّما الاهرامُ شبهُ نواجذٍ شهدَتْ لنا بشراسةِ الحكّام
فدهشتُ ثمّ سألتُ عنها ابا الفَوْل الصّموتَ الكشفَ عن ابهامي
وهو الامين لكلّ سرّ غامضٍ حرصَتْ عليهِ جوانحُ الايام
يحمي خبايا الدهرِ كالحارسِ يقظانَ يحجبها بغير ظلام
فتبسّم الصنمُ القديم تعطّفاً واجابني من بعد ردّ سلامي
لن كنتَ تحسبُ ما رأيتَ حقيقةً اخطأتَ فهو محصّلُ الاوهام
هذي الشواهدُ شخّصَتْ في ماضي اثرَ الحجى وماثرَ الأعلام
لو عادت الاسلافُ يوماً بينكم لبكت على الاخلاق والافهام

وعلى ظننا انهُ قبل نهاية الحرب حلّت وفاة اديب آخر ترجمهُ الاستاذ الفاضل عيسى افندي اسكندر المعلوف وهو ﴿ميخائيل جرجس ديبو﴾ من الاسرة المعلوفيّة ولد في طرابلس الشام سنة ... في مدارسها الوطنيّة وفي مدارس المرسلين ثمّ تنقّل في البلاد وتقلّد عدّة وظائف في خدمة الدولة الايرانيّة في آطنه وطرسوس ثمّ عاد الى وطنه ... ولزم الآداب و... فنّف عدّة روايات من جملتها رواية داود وشاؤل والشيخ الجاهل والامبراطور شرلمان . ولهُ منظومات عديدة جمعها في كتاب دعاهُ الشعر العصري وقسمهُ ثلاثة اقسام تبلغ اربعمائة قصيدة بنيّف . روى البعض منها الاستاذ عيسى افندي اسكندر المعلوف في كتابهِ «دواني القطوف تاريخ بني المعلوف» (ص ٥٩٨ — ٦١٠ م)

(الها بقية)